محمود رفعت

موسِيّاتٌ

الإصدارُ الإلكترونيُّ الأوَّلُ

أَحْيَتْ حَرْبُ الإبادَةِ الدّائرةُ رحاها في غَزَّةَ منذُ شهورٍ -في نفسي أفكارًا وخواطِرَ كثيرةً كانَتْ مَنْسِيّةً، فإذا هي حَيَّةٌ تَسعى، فأخذْتُ منها برغمِ الخوفِ المنشورَ الأوّلَ، فَأَلْقَيْتُه على صفحتي (facebook.com /mahmoudrefaat87) قُبيلَ ساعاتٍ مِنْ سَفْرَةٍ طويلةٍ لي.

شغلَتْنيَ الرِّحلةُ يومًا واحدًا عنِ الْكتابةِ، لكنْ لم تَشغلْني عن أفكاري، وما لبثْتُ أنْ كتبْتُ المنشورَ الثّانيَ قبلَ أنْ يَذهبَ عنّي عناءُ السَّفَرِ، ثُمَّ تتابعَتِ المنشوراتُ في نظامٍ ثابتٍ أثارَ إنكارَ قومٍ وسخريتَهم حتّى قالَ قائلُهم: إنَّكَ ماشٍ في الخُسرانِ! فاللّهمَّ إنْ كانَ هذا خُسرانًا فإنَّه أَحَبُّ إليَّ مِنْ رِبْحٍ وَفيرٍ، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

محمود رفعت

٤ مايو ٢٠٢٤م

محمود رفعت

١٦ ديسمبر ٢٠٢٣ ·

موسَوِيّاتٌ ١

لم يَكُنْ ذبحُ فرعونَ لأبناءِ بني إسرائيلَ واستحياءُ نسائِهم لرؤيا رآها أكبرَ مصائبِهم، وإلّا فما تخاذلُهم ورضوخُهم الذَّليلُ لذلكمُ البلاءِ؟

ولم يكنْ فرعونُ بالغبيِّ الجاهلِ الذي يندفعُ لقرارٍ لا يَعرفُ كيفَ يُمضيه، بل عرفَهم الطّاغيةُ، وعَرَفَ عجزَهم واستبدادَ الوَهَنِ بقلوبِهم، فسامَهم سوءَ العذابِ غيرَ مُبالٍ بهم.

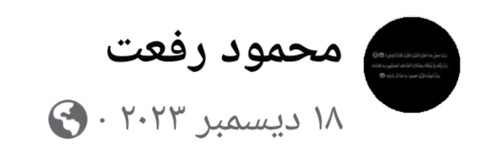
وكذلكم لم يَكُنِ اللّهُ سبحانَه وتعالى بغافلٍ عنْ هذا كلِّه.

إنَّ الأمرَ لم يَعُدْ أمرَ قومٍ عايشوا الهوانَ والإذلالَ حتّى سرى في طباعِهم وظهرَ في أخلاقِهم، إنَّه الآنَ أمرُ طاغيةٍ تجاوزَ كلَّ حَدٍّ، ولا بُدَّ مِنْ رَدِّه، ولو بعدَ حينٍ.

إنَّ اللّهَ لا يَرضى بالكِبْرِ والظُّلمِ وإنْ رضيَهما المظلومون المقهورون.

﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٢٢ ﴾

[سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٢٢]



موسَوِيّاتٌ ٢

لم تَكُنِ المشكلةُ في وجودِ فرعونَ أو في سلطانِه، فما أهْونَ أنْ يُهلكَه الذي خلقَه أو أنْ يُعرِّيَه مِنَ السُّلطانِ!

وإنِّما كانَتِ المشكلةُ في طغيانِه واستكبارِه، فلو هلكَ كما تَهلكُ البهائمُ كانَ شرفًا له، وما قامَتْ به على غيرِه حُجَّةٌ، بل يجبُ أن يُهينَه الاستكبارُ، ثُمَّ يقتلَه الطغيانُ، ولهذا وغيرِه تَحملُ العنايةُ الإلهيةُ ذلكمُ الرضيعَ الكريمَ إلى دارِ الطّاغيةِ، ويأتيه أمرُ الحقِّ المُتعالِ مِن حيثُ لا يستطيعُ رَدَّه، فَيُربِّيه بنفسِه، ليكونَ له عدوًّا وحَزَنًا، ثم يَحوطُه بعزِّه وسُلطانِه، لكيلا يَتسرَّبَ إلى قلبِ النَّبِيِّ الكريمِ -عليه السلامُ- شيءٌ مِنَ الوَهَنِ الذي أصابَ قلوبَ قومِه فأذلَّهم.

وبينما كانَ الطّاغيةُ يلفُّ حَبْلَ هلاكِه حولَ رقبتِه غافلًا، كانَ حبلُ الرّضيعِ الكريمِ يَتصلُ بقومِه ظاهرًا وباطِنًا.

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ٦

سورة القصص

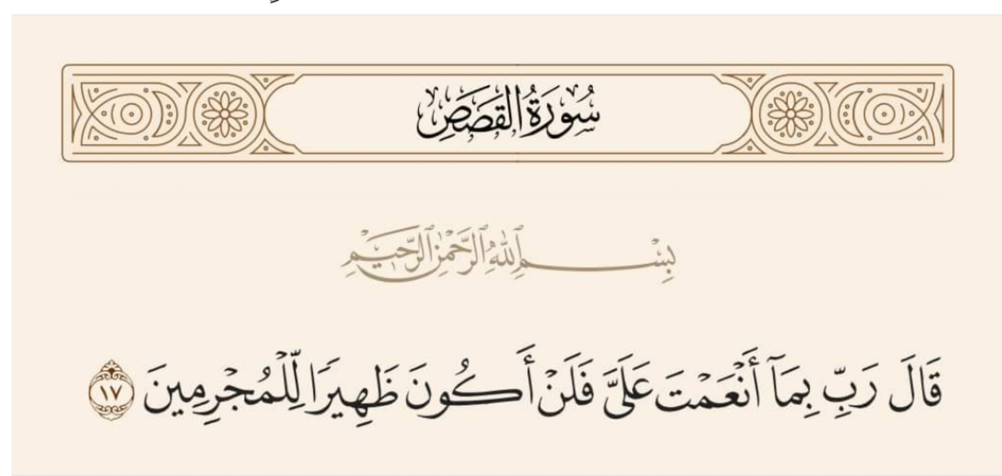
محمود رفعت

١٩ ديسمبر ٢٠٢٣ ·

موسَوِيّاتٌ ٣

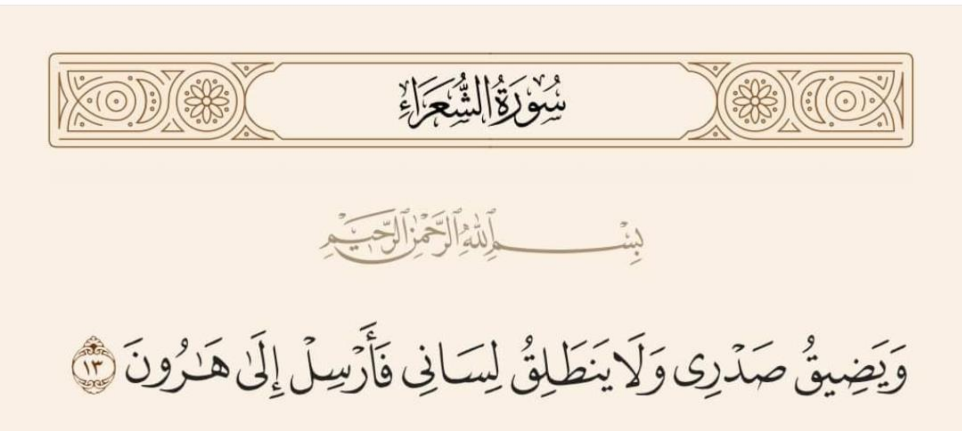
لم تكنْ أمُّ موسى -عليهما السلامُ- تُنكرُ أنَّ وعدَ اللّهِ حقٌّ، لكنَّها أمٌّ، مِنْ بني إسرائيلَ، في زمانٍ عنيدٍ يُعاديهم فيه كلُّ شيءٍ، فربطَ اللّهُ على قلبِها، ووفَّقَ بنتَها، وردَّ عليها وليدَها، فاتَّصلَ بها حبلُ الوليدِ بقومِه، ونشأ مطَّلِعًا على محنتِهم اطِّلاعَ المُشفقِ الثّائرِ، فألقَتْ تلكمُ المحنةُ العظيمةُ بينَه وبينَ فرعونَ وقومِه العداوةَ والبغضاءَ، وأغرَتْه بالانحيازِ إلى بني إسرائيلَ انحيازَ المُخلصِ الكريمِ، فلمّا بَلَتْه الأحداثُ وجدَتْه صادقًا صلبًا؛ فبرغمِ علمِه أنَّ قتلَ المِصريِّ سيجرُّ عليه هلاكًا مؤكّدًا إنْ لم يَتداركِ الأمرَ سريعًا، أصرَّ على الحقِّ، فعاهدَ اللّهَ على ألّا يُظاهرَ مجرمًا أبدًا.

فأصبحَ -عليه السّلامُ- وحيدًا وسطَ صراعٍ دمويٍّ محسومٍ، فأنقذَه اللّهُ، وأخرجَه إلى حينٍ.



محمود رفعت
٢٠ ديسمبر ٢٠٢٣ ·

موسَوِيّاتٌ ٤
لم يَكُنِ المجتمعُ المِصريُّ قبلَ خروجِ بني إسرائيلَ مِنْه مجتمعًا مغلقًا مقيِّدًا للحركةِ والتعبيرِ، بل سمحَ بهما، وحرصَ عليهما في حُدودٍ، فَعَلَتْ أصواتٌ تُنادي برفعِ الظُّلمِ عن بني إسرائيلَ، وأتاحَتْ هذه الحريةُ لأصحابِ تِلكمُ الأصواتِ ألوانًا مِنَ الأعمالِ السِّياسيةِ والاجتماعيةِ المُفيدةِ، وكانَ سيدُنا هارونُ -عليه السّلامُ- صاحبَ صوتٍ مسموعٍ ورأيٍ مقبولٍ، أعانَه على الجَهْرِ بهما التزامُه بحدودِ المجتمعِ وقوانينِه.
أمّا سيدُنا موسى -عليه السّلامُ- فلمْ يَكنْ قبلَ خروجِه الأوَّلِ مِنْ مِصرَ ذا قدرةٍ على التَّعبيرِ المُبينِ، ولمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُجيدونَ السِّياسةَ أو يُقدِّمونَ التَّنازلاتِ، ثُمّ اضْطُرَّ للاغترابِ طلبًا للنَّجاةِ، فانفتحَ له بهذه الغُربةِ الطَّويلةِ بابٌ مِنَ الفهمِ العميقِ للقضيةِ، وأعانَه العملُ بالرعيِ على طولِ التَّأمُلِ في أفكارِه وفي أحوالِ النّاسِ.



محمود رفعت

٢١ ديسمبر ٢٠٢٣ ·

موسَوِيّاتٌ ٥

لم تكنِ المواجهةُ العنيفةُ لمُجتمَعٍ قويٍّ يَقبلُ الحوارَ عملًا مُجديًا، برغمِ أنَّ روايةَ الطّاغيةِ كانَتْ طاغيةً، لأنَّها روايتُه، ولأنَّ استضعافَ فئةٍ يُؤَمِّنُ لبقيّةِ الفئاتِ فوائدَ ظاهرةً، ولهذا ظلَّتْ دعواتُ رفعِ الظُّلمِ عن بني إسرائيلَ محصورةً فيهم لا تُجاوزُهم إلى غيرِهم إلّا نادرًا، فإنْ بَدَتْ المحاورةُ عبثًا لا طائلَ مِنْه فإنَّ الصِّدامَ كانَ بلا رَيْبٍ خسارةً كبيرةً لا مَكسبَ فيها، ولهذا أَخرجَ اللّهُ سيدَنا موسى -عليه السلامُ- بُعَيْدَ مقتلِ المِصريِّ، وأمرَه وأخاه حينَ بَعَثَهما بآياتِه أنْ يقولا للطّاغيةِ قولًا ليِّنًا؛ فإنَّهما ما بُعِثا للقتالِ كما بُعِثَ طالوتُ، وإنَّ التزامَهما بحدودِ المجتمعِ الذي بُعِثا إليه يُعطيهما الوقتَ لإبلاغِ دعوتِهما، وهذا أَدْعى إلى أنْ يَستمعَ لهما مَنِ انْصرفَ وتولّى، وساعتَها رُبَّما يتذكرُ أو يخشى، وإنْ أبى وآثرَ العنفَ نالَتْ مِنه الحدودُ التي نَصَبَها بنفسِه.



ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾



محمود رفعت

٢٢ ديسمبر ٢٠٢٣ ·

موسَوِيّاتٌ ٦

لم يكنْ خافيًا على سيدِنا موسى -عليه السّلامُ- بعدَ سنواتِ الغربةِ والتأمُّلِ ألّا خيرَ في العنفِ، وأنَّ المُغالاةَ في انحيازِه لقومٍ استكانوا للبلاءِ الشّديدِ حتّى ألفوه تضرُّه ولا تنفعُهم، وأنَّهم في حاجةٍ لمعجزاتٍ سماويَّةٍ تستنقِذُهم مِنْ أنفسِهم وعدوِّهم، أمّا هو فَلَمْ يكنْ معَه حينَ قصدَ مِصْرَ غيرُ عصًا يتوكّأُ عليها، وأهلٌ يَتوكَّؤونَ عليه، وأَمَلٌ ألّا تبعثَ عودتُه ماضيًا دفنَتْه سنواتٌ طويلاتٌ.

فلمّا كلَّمَهُ الحقُّ وسألَه عنْ عصاه ردَّ بتفصيلٍ وتوضيحٍ وبَيانٍ، وبِمِثلِ هذا صاغَ مَطالبَه لإنجازِ مُهِمَّتِه الصَّعبةِ لمّا بعثَه ربُّه إلى الطّاغيةِ وأمَّنَه، وهكذا كانَ -عليه السّلامُ- في مواقفِه كُلِّها مِنْ بعدُ، مُحيطًا بالأمرِ، حاضرَ الفكرِ، صافيَ الذّهنِ، سديدَ الرأيِ، قويَ الفِعْلِ؛ فَحارَ فيه الطّاغيةُ، وحارَتْ معَه حِيَلُه وأكاذيبُه، ثُمَّ ثقلَ عليه أنْ يكونَ مع كذبِه وتناقضِه فاشلًا ضعيفًا، فانقلبَ على نفسِه، وأرادَ قتلَه، لكنْ تهاوَتْ حججُه، ومنعَتْه حدودُه.

سُورَةُ غَافِرٍ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ٢٦

محمود رفعت

٢٣ ديسمبر ٢٠٢٣ ·

موسَوِيّاتٌ ٧

لم يكنِ الطّاغيةُ رجلًا يستسلمُ أو يَعجزُ إذا أحسَّ بالخطرِ، بل كان داهيةَ دواهٍ، عرفَ منذُ اللَّحظةِ الأولى أنَّ ما جاءَ به سيدُنا موسى -عليه السّلامُ- هو الحقُّ، لكنَّه اغترَّ بقوَّتِه وحُنكتِه، فزادَ تنكيلُه ببني إسرائيلَ حتّى يَنفضّوا عنِ ابنِهم، وأحاطَهم بالأكاذيبِ ليُشوِّهَه وإيّاهم، وحاصرَهم حصارًا مريرًا، ونبيُّ اللّهِ ثابتٌ يأمرُ قومَه بالصَّبرِ، ويَضربُ لهم خيرَ مَثَلٍ في الإيمانِ والأخذِ بالأسبابِ، فلمّا اسْتيأسَ الطّاغيةُ أرادَ قتلَه، فمنعَه ذلكمُ المؤمنُ مِنْ قومِه، وبعثَ أخبارَ يوسفَ -عليه السّلامُ-، وكانَ الطّاغيةُ يَحسبُ أنَّها دَرَسَتْ ونُسيَتْ، فأمرَ ببناءِ الصَّرْحِ احْتيالًا لتكذيبِ دعوةِ موسى ويوسفَ -عليهما السَّلامُ- جميعًا معًا، وشدَّد على بني إسرائيلَ ليستفزَّهم مِنَ الأرضِ إلى حيثُ يُمكنُه إدانتُهم وإبادتُهم بعيدًا عن أعينِ الرقباءِ.

سُورَةُ غَافِر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ
كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ
عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ٣٧

محمود رفعت

٢٤ ديسمبر ٢٠٢٣ ·

موسَوِيّاتٌ ٨

لم يكنِ الطّاغيةُ يظنُّ حينَ طاردَ بني إسرائيلَ أنَّه سيكونُ الطَّريدةَ، ولا عرفَ حينَ استفزَّهم ليُبيدَهم بعيدًا عنِ الشُّهودِ أنَّهم سيكونونَ الشُّهودَ على إبادتِه هو ومَنْ معَه، وبرغمِ الخسارةِ القاسيةِ والصَّدْمةِ المُؤلمةِ والشِّدَّةِ العظيمةِ يَتمالَكُ نفسَه، ويُعمِلُ عقلَه، ويُرتِّبُ أفكارَه؛ فلا يَجدُ لنفسِه بُدًّا مِنْ أنْ يُمهّدَ لآخرتِه تمهيدًا رُبَّما نفعَه، فيُؤمنُ بأنْ لا إلهَ إلّا الذي آمنَتْ به بنو إسرائيلَ، فهبطَ به استكبارُه في لحظاتِه الأخيرةِ إلى قَبولِ أن يكونوا هم سابقيه، ويكونَ هو اللّاحقَ بهم، إنَّها لحظاتُ الحقيقةِ المُطلَقةِ، وإنَّ أنفاسَه معدودةٌ، وكلماتِه محدودةٌ، ولا مجالَ للمكابرةِ أو حتى للمخاطرةِ بذِكْرِ اسمِ الإلهِ أو صفةٍ أخرى مِنْ صفاتِه، إنَّ الإلهَ الذي يُهلكُه هو الذي آمنَتْ به بنو إسرائيلَ، فَلْيَكُنْ إذَنْ مؤمنًا بِمَنْ هذه صفتُه، وإنِ انْطَوَتِ الصِّفةُ على إذلالٍ له.

سُورَةُ يُونُس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ
بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ





موسَوِيّاتٌ ٩

لم يكنْ هلاكُ الطّاغيةِ هلاكًا لمصائبِ بني إسرائيلَ؛ فإنَّه ما هلكَ حتّى غرسَ بذورَه الخبيثةَ في نفوسِهم، وتعهَّدَها بظُلمِه وبطشِه حتّى أثمرَتْ، وفوجئَ القومُ بأنفسِهم أحرارًا وما عرفوا إلا التَّبعيةَ، كِرامًا ولطالَما عانَوُا الْبطشَ والخِذلانَ معًا، مُوافقينَ لقائدِهم وقدِ اعتادوا المخالفةَ وأحبّوها، وإذا أجسادُهم مُنهكةٌ ضاويةٌ في صحراءِ سَيْناءَ الواسعةِ، وإذا نفوسُهم خائفةٌ واجِمَةٌ في متاهاتِ الحُرِّيَّةِ الغامضةِ، ضَياعٌ في ضَياعٍ في ضَياعٍ.

ثم مَرّوا على قومٍ يَعكفونَ على أصنامٍ لهم، فوجدوا في تقليدِهم ما يُشبعُ تبعيتَهم، وأمّنَ لهمُ الصَّنَمُ خُضوعًا لا بطشَ فيه، وخالفوا بعبادتِه قائدَهم الذي عرفَهم؛ فلمْ يدَّخرْ جُهدًا في نُصحِهم، فزادوا بالنُّصحِ إصرارًا على المخالفةِ، وكانَ العِجلُ هو أوَّلَ اختيارٍ اجتمعوا عليه، وأوَّلَ إنجازٍ رأوْه، وأوَّلَ انتصارٍ حقَّقوه، فأُشْرِبَتْ قلوبُهم حُبَّه.

سُورَةُ البَقَرَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ
خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ٩٣

محمود رفعت

٢٦ ديسمبر ٢٠٢٣ ·

موسَوِيّاتٌ ١٠ (الأخيرةُ)

لم يَكُنِ العِجلُ ذنْبَ بني إسرائيلَ الوحيدَ، لقدْ كانوا شرَّ مَنْ كُرِّم كما كانوا شَرَّ مَنْ عُبِّدَ، صبروا طويلًا على ما لا يُمكِنُ لجماعةٍ أنْ تصبرَ عليه، ثُمَّ تمرَّدوا سريعًا على ما لا يُتصوَّرُ أنْ يَتمرَّدَ أحدٌ عليه، وكما كانوا أذلَّةً في خضوعِهم كانوا أذلَّةً في تمرُّدِهم؛ فلم يَعبدوا العجلَ حتّى ذهبَ سيدُنا موسى -عليه السّلامُ- لميقاتِ ربِّه، وحينَ عادَ عادوا يُؤرِّقُهم أنَّ رهبةَ النَّبيِّ الكريمِ ستظلُّ عَقَبَةً كَأْداءَ في سبيلِ أهوائِهمُ المريضةِ، فقرَّروا هدمَها مُستعينينَ بما تعلَّموه مِنَ الطّاغيةِ، فرمَوْا النَّبيَّ الكريمَ -عليه السّلامُ- بالأكاذيبِ، ونشروها حتّى آذَتْه معَ صبرِه واحتسابِه، فبَرَّأه اللّهُ مِمّا قالوا، لكنْ لمْ تَبرأْ نفوسُهم، فَالْتَوَوْا عليه، وبالغوا في إرهاقِه بمطالبِهم، فإذا أمرَهم بشيءٍ أرهقوه بأسئلتِهم، وهكذا حتّى هانَ عليهم أنْ يقولوا له: اِذْهَبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا، إنّا ها هُنا قاعدونَ.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ ﴾

[سُورَةُ المَائـِدَةِ:٢٥]